جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 46 / كانون الاول2025

القَصَصُ القرآنيُّ وأثرُهُ في الفِكرِ والعَقيدَةِ

Quranic Stories and Their Impact on Thought and Belief

أ.م رزاق مهدي حمادي

Prof. Razzaq Mahdi Hammadi

مديريّة تربية كربلاء المقدّسة
Karbala Education Directorate

الكلمات المفتاحية: القصص، التوحيد، النبوة، الامامة، العصمة، الفكر.

Keywords: stories, monotheism, prophecy, imamate, infallibility, thought.

الملخَّص

القرآن الكريم كتاب هداية سماوي لم يدخر وسيلة إلَّا واتبعها لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وما القصص القرآني إلَّاأحد تلك الوسائل التي سخرها القرآن لخدمة الأهداف السامية التي دعا إليها النبيّ محمَّد(صلَّى الله عليه وآله وسلم)، وقد تعددت فائدة القصة القرآنية، فمنها ما يتعلق بالجانب العقائدي والفكري، فالهدف الأساس لدعوة الأنبياء هو تصحيح الجانب العقائدي والفكري لتلك الأمم التي أضلها الشيطان الذي أقسم بعزة الله أن يغوي عباده، فتحدثت القصة القرآنية عن تلك الأزمان السحيقة في القدم، حيث بداية الخلق، ويوم كان عرش الله على الماء، والمراحل الأولى لإيجاد الكون البديع، إلى أن جاء أمر الله بخلق آدم وما جرى بين الملائكة وإبليس من السجود له، وقد طلب منا القرآن بعد ذكر كل تلك الحقائق المذهلة أن(نتأمل ونتدبر ونتعقل) فالإنسان العاقل عندما يمر بتلك الآيات يكون أثرها على قلبه وتفكيره عظيم، فعندها يبحث عن المعتقد الحق، فيقارن بين الآلهة العاجزة، وهذا الخالق المقتدر الذي أقرَّ له علماء الفلك بحسن الخلقة والتدبير في خلق هذا الكون، وللقصص القرآني الأثر العظيم في تأييد صدق الدعوة التي جاء بها النبي(ص) كما حددت القصة القرآنية الموقف الإسلامي من بعض الأحداث منها تنازع اليهود والنصارى في إبراهيم، إذ أخبرنا القرآن أنَّ أحق الناس بإبراهيم هو محمد(ص) وأن التوراة متأخرة عن زمانه، كما بينت إشراك النصارى في عقيدة التثليث، وأن الله أنجى عيسى عليه السلام من القتل، وتحريف اليهود والنصارى كتبهم، وبينت القصة الطريقة المثلى في مخاطبة المشركين وبيان عقائدهم وانحرافاتهم الفكريَّة، ومن الأمور المهمة التي تؤثر في أفكار جميع الناس هو المصير الأخير للإنسان حيث الموت، فأثبتت القصة حتمية المعاد بالأدلَّة العلمية وبالشواهد التاريخية من رجوع بعض الموتى للحياة.

Abstract:

The helpless, and this powerful Creator, to whom astronomers have acknowledged the goodness of creation and management in the creation of this universe, and the Quranic stories have a great impact in supporting the truth of the call of the Prophet (peace be upon him), as the Quranic story determined the Islamic position on some events, including the dispute of the Jews and Christians over Abraham, as the Quran told us that the most deserving of Abraham is Muhammad (peace be upon him) and that the Torah was later than his time, as it showed the polytheism of the Christians in the doctrine of the Trinity, and that God saved Jesus, peace be upon him, from being killed, and the distortion of the Jews and Christians of their books, and the story showed the best way to address the polytheists, and explain their beliefs and intellectual deviations, and one of the important matters that affect the thoughts of all people is the final destiny of man, which is death

مقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم وأفضل الصلاة على نبينا محمد وآله وبعد...

للقصص القرآني تأثير كبير في بناء العقائد وصياغة الفكر الإسلامي، فمن كل آية منها نلمس التأثير الكبير على تصرفاتنا وقناعاتنا الفكرية،،فالعبادة يجب أن تكون مقرونة بالعقائد الصحيحة، وبما يريده الله منا، ومن هنا

تتجلَّى أهمية القصص القرآني حيث يرفد أفكارنا ومعتقداتنا، واليوم وفي عالم انغمس في ظلمات الفسوق والجهالة والملذات المحرمة والمثلية والتيارات الإلحادية، ما أحوجنا أن نصحح أفكارنا التي بدأت تتأرجح بين الشبهات والتيار الحضاري المزيف المنقوع بالسم.

سبب اختيار البحث:

إن سبب اختيار موضوع البحث يعود لطغيان الجانب السلبي للمد الحضاري الذي أبعد بعض الشباب عن مرتكزاتنا السامية، ولوثت عقول أبنائنا، كما أن منصات التواصل الاجتماعي أسهمت في تسميم عقيدتهم وأفكارهم، كالتشكيك بوجود الله سبحانه، وأن العقائد والعبادات ما هي إلَّا أمور عفى عليها الزمان، وإن كنت تعتقد بها ففضائها البيت، وسعى طائفة من الشبابخلف بهرج الحضارة والتقدم، على حساب عقيدته.

أهمية البحث:

1-إن في القصص القرآني العبرة والموعظة الحسنة، فما على الإنسان إلَّا أن يبحث في كتاب الله ليسد النقص الثقافي والديني لديه تاركًا الظواهر السلبية التي ترافق التقدم الحضاري بعد أن هذَّب نفسه وروضها بما تحصن من آيات الذكر الحكيم.

2-أن يوقن الإنسان بالعواقب المريرة التي قد تطال كلَّ أمة انحرفت عن الطريق المستقيم كما حل بالأمم السابقة التي أخبرتنا بها القصة القرآنية.

3-يسهم البحث في توجيه الناس إلى دور القصص في رد شبهات المغرضين، وفي كل جوانب العقيدة الإسلام.

وأمَّا خطَّة البحث: فقد قسمت البحث إلى مبحثين، الأول يركز على التوحيد، حيث الطرائق التي اتبعها الأنبياء في دعوة الناس للتوحيد كالمحاورة والنقاش العقلي والمنطقي الذي يبين الفرق بين الإله المقتدر وما يعبده المشركون من أرباب لا ينفعون ولا يضرون، كالآيات التي صدم النبي إبراهيم عليه السلام قومه ووضعهم أمام الأمر الواقع، فقد جعل الفأس في رأس كبير الأصنام، وطلب منهم أن يسألوه من حطم الأصنام إن كان قادرًا على الكلام؟،كما تضمن المبحث تنزيه الله سبحانه من الصفات التي لا تليق به، فاستواء الله سبحانه على العرش، وكلامه لموسى، وباقي الصفات الأخرى كلها تأول بما يليق به سبحانه، كما تناول المبحث الأدلة العلمية من قصة بداية خلق الكون التي تشير إلى الخالق العظيم الذي أبدع في خلقه، فالكون وما فيه من عجائب ما هو إلا دليل على وجود خالق مبدع،وهذا ما جعل علماء الفلك يقرون بعظيم خلق الخلقحيث يجدون القرآن قد سبقهم في كل ما يكتشفونه.

وأما المبحث الثاني، فكان عن منصبي النبوة والإمامة، حيث وضحت ما يتعلق فيهما من ضرورة إرسال الرسل لقطع حجة الناس يوم القيامة، وضرورة الإيمان بكل ما يرتبط بهما من أمور كالإيمان بكل الأنبياء وكتبهم غير المحرَّفة، والإيمان بالملائكة الموكلين بالنزول إلى الأرض ووظائفهم، وإن هذا المنصب يتطلَّب إنسانًا معصومًا من الخطأ والزلل، ليتحمل كلَّ أعباء النبوة من تكذيب الناس له وإيذائهم، فإن أصروا على الكفر هجر الأوطان لله تعالى كما في قصة إبراهيم وموسى ونبينا محمَّد (صلَّى الله عليه وآله)، أو أن يستشهدوا في سبيل الدعوة كأنبياء بني إسرائيل، وإن من ارتضاه سبحانه وخصَّه منهم بالابتلاءات والأسرار العظيمة رفعه إلى منزلة الإمامة كما في

قصة إبراهيم، وقد جمعت الآيات وصنفتها بحسب مواضيعها، وقمت بالتعليق عليها، وشرح بعضًا منها بحسب الحاجة لذلك، وقد نوَّعت في المصادر التي اعتمدتها فمنها القديم والحديث، وقد اخترتها من مختلف مشارب الأمة الإسلامية، لبيان وحدة الأمة في العديد من مسائلها، والله ولي التوفيق.

المبحث الأوَّل\ التوحيد والاستدلال القصصي عليه

المطلب الأوَّل \ آيات القصة القرآنية الداعية للتوحيد

للقصص القرآني دور كبير ورائد في بيان مسائل العقيد والفكر عبر السرد القصصي الذي ركز في محاربة الأفكار العقائدية المنحرفة عن جادة الصواب وهذا ما ستراه الأممالتي عصت الله يوم القيامة فيكون مصيرها الندم(تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)[1]، جاءت القصة القرآنية لتبين للنبي محمَّد (صلَّى الله عليه وآله) أنَّ الطريق الرساليّ صعب وطويل حيث لاقى الأنبياء قبله الشدائد والمحن من أجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله، فما جاء في القصة تسلية له(صلى الله عليه وآله) وتحذيرًا للمشركين، وكشفًا لما دار في الأمم السالفة، كما فيها تأثيرًا على الأفكار والمعتقدات لأننا نأخذ منها العبرة والموعظة، وإذا تأملنا في القصص القرآني يمكننا أن نلحظ أمورًا عدة منها:

أوَّلاً: انصب اهتمام القصَّة القرآنيَّة على بيان المغزى الرئيس من الدعوة الإلهيَّة إلَّا وهو التوحيد ونفي الشركاء لله، فقد اصطفى سبحانه الأنبياء لهذه المهمة(ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ)[2]، فالمهمة الأساس هي إرجاع الناس إلى الفطرة السليمة، وقد بين إبراهيم عليه السلام أنَّ الشرك من صنائع الشيطان(يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا)[3]، وجاء على لسان لقمان أعظم موعظة ألا وهي ترك الشرك(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[4]، ويظهر الانحراف الفكري لدى آخرين لأنَّهم ينسبون لله شركاء بدون دليل(قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[5]، وإشارت بعض الآيات لما جعلوا لله من شركاء(وجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ)[6]، كما ادعى بعضهم الإلوهيَّة كفرعون، وعبد كثير الأصنام التي صنعوها(أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ)[7](وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)[8]، وينقل لنا القرآن الحوار بين إبراهيم وقومه حول ما يعبدون(قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ)[9]،وهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يعلن عداوته لآلهة قومه وبراءته منها؛ لأنَّها لا تستحق الألوهية مستدلًّا على ذلك بأنها لا تملك من خصائص الربوبية شيئًا التي منها الرزق[10]، كما عُبدت اصناما اخرى(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى)[11](وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ)[12]، زين إبليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة، وقالوا هي بنات الله تعالى، وقد لبس إبليس على طائفة

منهم فقالوا بمذاهب الدهرية، وأنكروا الخالق، وجحدوا البعث حيث قال الله سبحانه فيهم في سورة الجاثية(الآية 24)، (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا إلا الدهر) وآخرين منهم أقروا بالخالق لكنهم جحدوا الرسل والبعث[13].

واعتقد المشركون أن أصنامهم تقربهم إلى الله تعالى، فهم في الحقيقة يعرفون الله ولكنهم ضالون(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)[14]، ثم يذكر لنا القران الكريم كيف خاطب الأنبياء أقوامهم محتجين عليهم بضعف ما دون الله(قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)[15]، وكان الأنبياء عليهم السلام مستندين في كلامهم على أبسط العبارات التي تدخل القلب وتترك فيه الأثر الإيجابي، لمن حكم عقله وقلبه وبهذه الحقيقة المبسطة دار الحوار بين إبراهيم والمقربين منه(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا)[16]، وبعدما لم يجد إبراهيم عليه السلام الإذن الصاغية من أبيه كان جوابه لأبيه فيه من حسن الأدب وكماله وغزارة المعنى وتمامه ما ليس في أمر أبيه، ويتضح هذا من المقارنة بين ما حكاه القرآن عن كل منهما، فقد حكى عن الأب قوله(واهجرني مليا) وعن إبراهيم عليه السلام(واعتزلكم وما تدعون.....)[17]، فعبر الأب بالهجر وهو لفظ شديد الجرس يوحي بالفراق والمخاصمة والمقاطعة، وعبر عن إبراهيم عليه السلام بالاعتزال وهو لفظ معتدل الجرس ينطوي على المفارقة بالمعروف[18]، وبعد أسلوب بيان عجز شركاء الله سبحانه، استخدم الأنبياء أسلوب الحوار العقلي للإقناع (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[19]، كما يلاحظ أن بعض المؤمنين مارس دوره في النصح والإرشاد لأقوامهم الضالة(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[20]، كما نصح مؤمن آل فرعون قومه(وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ)[21]، ثم جاء دور التحذير من غضب الله ونزول العذاب على الكافرين بعد أن استنزف الرسل كل ما لديهم (حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)[22]، فطلبوا عندها العون من الله على أقوامهم فنزل العذاب على كل الأقوام العاصية لله (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[23]، والمتأمل للآيات المباركة يجد أن المشركين يقرون بوجود الله وحده لكنهم عاندوا واستثقلوا ترك ما وجدوا عليه الآباء والأجداد من الشرك بدليل قوله تعالى(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)[24]،(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى

أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[25]، وفحوى هذا الدليل أنه إذا نزل بالمشركين كرب وبلاء في البر أو في البحر فسَرْعانَ ما يرجعون إلى الله ويدعونه لكشف هذا البلاء تاركين دعاء أصنامهم لاعترافهم بأنه لا يكشفه أحد غير الله، ثم إذا نجوا وسلموا من هذا البلاء عادوا لشركهم بالله وعبادتهم الأصنام التي نسوها عند البلاء[26]، ويمكننا أن نستنتج من هذه القصة التي تحدث في الرحلات في البحر وفي الرحلات الجوية مدى تأثير الفطرة التي أودعها الله في الفكر الإنساني.

ثانياً: يمكننا ملاحظة ضعف البناء العقائدي لدى الأمم السابقة، فأي طارئ يطرأ يهز الإيمان لديهم وهذا نجده في عدة قصص قرآنية منها قصة موسى في موردين الأول قوله تعالى(وجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[27]، لم تَخْلُصْ في قلوبهم حقائقُ التوحيد فتاقت نفوسهم إلى عبادة غير الله، حتى قالوا لنبيّهم موسى عليه السلام: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، وكذا صفة من لم يتحرر قلبُه من إثبات الأشغال والأعلال، ومن المساكنة إلى الأشكال والأمثال، ويقال مَنْ ابتغى بالصنم أن يكون معبودَه متى يُتَوَّهم في وصفِه أَنْ يُخلِصَ إلى اللهِ قصودَه؟[28]، المورد الثاني قوله تعالى(وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ)[29]، وإنما ذكر من صفاته المنافية للألوهية عدم تكليمه إياهم وعدم هدايته لهم وسكت عن سائر ما فيه كالجسمية، وكونه مصنوعًا ومحدودًا ذا مكان وزمان، وشكل إلى غير ذلك مع أن الجميع ينافي الألوهية؛ لأن هاتين الصفتين أعني التكليم والهداية من أوضح ما تستلزمه الألوهية من الصفات عند من يتخذ شيئًا إلها، إذ من الواجب أن يعبده بما يرتضيه ويسلك إليه من طريق يوصل إليه، ولا يعلم ذلك إلا من قبل الإله بوجه فهو الذي يجب أن يهديه إلى طريق عبادته بنوع من التكليم والتفهيم، وقد رأوا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلًا[30]،وقد يكون البناء العقائدي غير رصين فيذهب بصاحبه إلى الهاوية كما في قصة الرجل صاحب البستانين(قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا)[31]،أثبت الله له الشرك والكفر مع إقراره بربه تعالى، إذ شك في البعث قال تعالى سورة النساء(الآية: 150)(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) فصح أن من آمن ببعض الدين وكفر بشيء منه فهو كافر مع صحة تصديقه لما صدق[32]، كما بينت الآية الوجه في خلق البشر وغيره من الحيوان، وتنقله من تراب إلى نطفة، ثم إلى علقة، ثم إلى صورة، ثم إلى طفولية، ثم إلى حال الرجولية، ما في ذلك من الاعتبار الذي هو دال على تدبير مدبر[33].

كما يلاحظ التخبط والجهل الفكري لدى بعض الطغاة الذين كانوا من جهة يدعون الألوهية، ومن جهة أخرى يأمرون ببناء الصروح العالية لعلهم يطلعون إلى إله السماء(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)[34]، ويمكننا القول إن هذا العمل ينطوي على حيلة تنطلي على أصحاب العقول الضعيفة الذين سلموا فكرهم لمن يقرر بماذا يجب أن يقتنعوا، فأراد فرعون أن يوصل إليهم فكرة أنه تقصَّى عن الحقائق وبحث عن هذا الإله المزعوم، لكنَّه لم

يجد إله غيره، فأطاعه السذج من القوم، ومن صادر عقولهم، وعلى هذا كلما كان الإنسان حرًّا سليم الفكر رسخ اعتقاده.

ثالثاً: يمكننا أن نلحظ دور القصة القرآنية في إيصال الصفات الإلهية وخصاص هذا الإله لعقول الناس بأبسط العبارات المؤثرة في نفوسهم فإبراهيم عليه السلام يصف ربه(وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)[35]،وله صفات الغنى والكرم(وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)[36]، وما أجمل ما وصف الهدهد ربه من صفات(أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)[37]، وفي قصة خلق السماء والأرض ترد عدة صفات(هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[38]، وتكرر معنى الاستواء في قوله(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)[39]، وقد ذهب الحشوية وبعض الظاهرية من أن العرش سرير كبير يجلس الله عليه، جلوس الملك اغترارًا منهم بما يفهمه العوام من كلمة (العرش) أو من لفظة (استوى) إذ العلم والدين متفقان على تنزيه الخالق – عز شأنه – من صفات الأجسام، وتقديس العالم الروحاني من شوائب المواد[40]، ولو اتخذنا فهم العوام ميزانًا لتفسير الكتاب والسنة لشوهنا محاسن تلك الجمل البليغة، وذهبنا بها إلى معاني مبذولة غير مقبولة، ولوجب علينا أن نفسر آية: (يجعلون أصابعهم في آذانهم)[41]، بدخول الأصابع كلها في الآذان، إن العرب كانوا ولا يزالون يسمون البيت المصنوع سقفه وقوائمه من أصول الأشجار عريشًا ويستعملون الصيغ المشتقة من هذا الاسم لمعاني قريبة منه، كما في آية (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون)[42]، وقد استعمل الوحي الإلهي لفظة (العرش) على سبيل التجوز في دائرة ملك الله سبحانه الخاصة به وبملائكته المقربين، فعرشه كناية عن عالم الروحانيات، وما كان الحكماء الأقدمون يسمونه بعالم الملكوت، وسماه حكماء الإسلام بعالم الأمر، وأما لفظة (استوى) وهي التي جعلت الآية من المتشابهات عند القوم، فمعناها التمكن التام والاستيلاء الكامل بدليل ما يظهر من آية: (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك)[43]، فالاستواء فيهن بمعنى التمكن التام دون الجلوس كما زعمت المشبهة، يريد تمكنه التام، وأن معنى (العرش) ومعنى (الاستواء) أن الله سبحانه قد ظهر من خلقه للسماوات والأرض تمكنه التام واقتداره الكامل على عالم الأرواح، أي: دائرة ملكه الخاصة به والمهيمنة على عالم الأجسام ويؤيد ذلك: قوله تعالى بعد هذه الآية: (له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى)[44]، مشيرًا إلى أنَّه استولى قبل كل شيء على عالم الملكوت والأرواح، ثم تمكن بذلك من تملك عالم الناسوت والأجرام[45]، وأما قوله تعالى(وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ)[46]، والمقصود هو أنَّ نوحاً قامَ بما قام من صُنْع السفينة حسب أمر الله له، ولهذا فانّ الله سيحفظه ويكلاه برعايته، ويحميه، ولن يَصل إليه من المستهزئين شيءٌ إذ هو في رعاية الله، ويعمل تحت عنايته[47]، وليس المقصود حمل العين على الجارحة، وهذا المعنى يتكرر في قصة النبي موسى عليه السلام(وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)[48]، والْعَيْنُ فَتَجْرِي مَجْرَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ إِثْبَاتَ عَيْنٍ، هِيَ حَدَقَةٌ مَاهِيَّتُهَا شَحْمَةٌ لِأَنَّ هَذِهِ الْعَيْنَ مِنْ جِسْمٍ

مُحْدَثٍ، وَاللَّهُ يَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، وَأَمَّا الْعَيْنُ الَّتِي وُصِفَ بِهَا الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا فَهِيَ مُنَاسِبَةٌ لِذَاتِهِ فِي كَوْنِهَا غَيْرَ جِسْمٍ وَلَا جَوْهَرٍ وَلَا عَرَضٍ، فَلَا يُعْرَفُ لَهَا مَاهِيَّةٌ وَلَا كَيْفِيَّةٌ، قَالُوا: وَقَدِ امْتَنَعَتِ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ، مِنْ أَنْ يُقَالَ لِلَّهِ تَعَالَى عَيْنٌ، فَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَنَفَوُا الْعَيْنَ وَالْبَصَرَ، فَهُمْ عَلَى جَادَّتِهِمْ، وَأَمَّا الْأَشْعَرِيَّةُ فَنَفَوْا صِفَةَ الْعَيْنِ، وَأَثْبَتُوا صِفَةَ الْبَصَرِ[49]، وكذلك يجب علينا تأويل قوله(وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)[50]،فقد ألقى الله في قلبه وسمعه كلامًا سمعه من جميع جهاته الست، من غير أن يكون هناك لفظ ولا شفة ولا لسان، وذلك الكلام عرض خلقه الله لا من شيء ولا في شيء، والله قادر على ذلك[51].

رابعاً: للقصص القرآني تأثير كبير في الفكر والإيمان بأنَّ الله هو الذي خلق الإنسان واستخلفه في الأرض، كما استخلف الجن قبله، والقصة القرآنية ترد على شبهات المغرضين الذين ادعوا أن أصل الإنسان حيوان تطور إلى أن وصل إلى هذه الهيئة، فأثبتت القصة أن الإنسان مخلوق وجد في السماء قبل أن يوجد على الأرض(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)[52]، وقال تعالى في سورة الحجر الآية26،27 {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ)،والمسلمُ يؤمن بأن الجنَّ مأمور مثل الإنسان بطاعة الله، وأن يجعلوا حياتهم كلَّها طبقًا لما أراده الله، وأنه –عز وجل– أرسل نبيَّه محمدًا للأنس والجن[53].

خامساً: بينت القصة الموقف الفكري للأمم السابقة(مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ(2) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ)[54]، فيستمعون وهم لاعبون ويتهامسون بينهم بما يملي عقلهم لهم بأنَّ هذا الرسول ساحر، ثم يصل الاتهام إلى(قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ)[55]، ففكرهم ضيق، ولا يؤمنون إلا بوجود المعجزة، وإذا أيَّد الله الأنبياء بالمعجزة ازدادوا كفرًا، وفي قصة نوح وصل الانحراف الفكري لحد دفع النبي نوح أن يطلب من الله اجتثاث قومه من الأصل لأنَّهم(إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)[56]، وأما قوم لوط فعدوا الطهارة شيء مستهجن(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آَلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)[57]، بينما الفكر الحر لدى ملكة سبأ سلك بها طريق الفلاح بعدما رأت ما مكن به الله سبحانه نبيه سليمان من علم وقدرة، فلامت نفسها لاتباعها إلها لا ينفع فأسلمت لله رب العالمين.

سادساً: قد يعتقد بعض الناس البسطاء أنَّ انحراف أحد أفراد عائلة الأنبياء والصالحين يقدح بتلك الشخصية، ويقلل من شأنها عند الله، وهذا التساؤل نجد جوابه واضحًا في قصص الأنبياء(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ)[58].

فلم تنتفعان من قربهما من نوح ولوط عليهما السلام، ولا هم تحملوا من أوزارهن شيئاً؛ لأنَّ كل نفس بما كسبت رهينه، وكذلك الحال مع ابن نوح الضال– الذي قيل عنه إنه ابن زوجته– حيث تحمل عواقب انحرافه الفكري فكان من المغرقين[59] (قَالَ سَآَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ)[60].

وقد يكون فرد من العائلة وحيدًا في إيمانه، مضحيًّا بنفسه من أجل عقيدته، فقد ضرب الله للمؤمنين امرأة فرعون(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[61].

المطلب الثاني\ الآيات العلمية الدالة على التوحيد في القصة القرآنية

جاءت الآيات المباركة لتخاطب العقل البشري ليعي الحقائق، وليقارن بدقة بين الصنم الأصم الذي لا ينفع، والرب العظيم الذي خلق كل شيء(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[62]، وليرسخ الفكر والعقيدة السليمة لدى الانسان ذكر سبحانه قصة بداية الكون التي حيرت الإنسان منذ وجوده على الأرض وليومنا هذا، فكانت هذه القصة العظيمة خير رافد يُسند الإنسان عليه اعتقاده بوجود هذا الإله العظيم الذي خلق وصور وأبدع فيما أوجد، ولولا القصة القرآنية وما جاء فيها من إشارات وبيان لتلك الحقبة التي تصل إلى مليارات من الأعوام السابقة لاستحال علينا معرفة ما جرى في تلك الحقبة، وقد سلسل سبحانه هذه القصة العظيمة لخلق هذا الوجود في عدة آيات مباركة منها(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ[63]،(أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) [64].

وبتقدم العلم والمعرفة توصل الإنسان بفكره إلى نظرية خاصة بنشأة هذا الكون، وهى تنص على أن كل ما يحتويه هذا الكون من مجرات وغازات وسحب الغبار الكوني كانت ملتحمة معًا في زمن مغرق في القدم على هيئة كتلة مركزية شديدة التماسك والانضغاط، ثم انفجرت هذه الكتلة، وتناثرتشظاياها في جميع الاتجاهات، ثم تحولت بمرور الزمن إلى المجرات الحالية التي يتكون كل منها من ملايين النجوم، وتعرف هذه النظرية باسم "الانفجار العظيم" وهى تتمشى مع المعنى المفهوم من الآية الكريمة، وتدل هذه النظرية على أن هذا الانفجار العظيم قد حدث منذ نحو 15.000 ألف مليون سنة على وجه التقريب، وأن هذه المجرات ما زالت تندفع في الفضاء بسرعات كبيرة جدًا، ممَّا يدل على أن الكون يتمدد ويتسع بمرور الزمن[65]، وهذا المعنى نفسه الذى ورد في الآية الكريمة {والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون}[66]، ولكن هل يمتد ويستمر هذا الاتساع إلى الأبد، أم هل يتوقف هذا التمدد في المستقبل عندما تبطئ سرعة المجرات وتبدأ عملية التجاذب بينها، فينكمش الكون مرة أخرى، ويوصف عندئذ بأنه كون مغلق[67]، ثم بدأ خلق السماء بقوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)[68]،(أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (15) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا)[69]، أن هذه الحقائق التي وردت في الآيات المباركة من قصة خلق(السماوات والأرض والماء والكرسي والعرش) وغيرها من الأمور التي رافقت الخلق الأول لهي خير دليل على انفراد الله سبحانه بإيجاد الخلق ومن ثم وجوب عبادته وجده، كما أن هذه الحقائق العلمية فيها الرد الدامغ على تشكيك المشككين بوجود

الله، والملحدين والمشركين فمن غير المعقول وجود هذا النظام الدقيق صدفة، أو من غير موجد،فهذا قول لا يقبله عاقل، خصوصًا وأن العلماء يذهلون يوميًّا لما يتم اكتشافه من عجائب الخلق في هذا الكون الفسيح.

قد يتساءل بعض الناس عن مغزى مخاطبة عقول عامة الناس بأمور علمية معقدة لا يفقهون فيها شيئًا، ويمكننا أن نجيب بأن الناس قد ورثوا ووصل إليهم بعض علوم الحضارات السابقة التي كانت على دراية كبير بعلوم الفلك المتحصل من التطور العلمي لتلك الشعوب حيث من الله عليهم ومكنهم في الأرض(أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ)[70]، فأقاموا الحضارات، وقد تطور علم الفلك في حضارة مصر القديمة والصين كما تطور على يد الفلاسفة الإغريق أرسطو وأفلاطون، كما شهد علم الفلك تطورًا في عهد البابليين[71]، هذا من جهة ووجود الأنبياء الذين كانوا يعلمون من الله كل شيء من جهة أخرى، فعلم الفلك كان موجودًا والأمم أبدعت وأشار القرآن الكريم إلى بعض استخداماته(وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)[72].

ويمكننا القول إن ما جاء في القرآن الكريم من علوم لا تخص زمان أو مكان محدد، فالقرآن يخاطب العقول في كل الأزمان، وقد أذعن العلماء لدقة ما جاء فيه حيث تتكشف لنا حقائقه العلمية يوما بعد يوم، وكل هذا يصب في ترسيخ العقيدة الإسلامية؛ لأنها بنيت على أسس علمية رصينة، ويمكننا ملاحظة هذا الأمر في قصة النبي إبراهيم عليه السلام إذ أراد لقومه أن يكون إيمانهم مبنيًّا على العقل لا تقليد الآباء والأجداد(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)[73]، أراد إبراهيم عليه السلام أن ينبّه قومه وأباه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق من طريق النظر والاستدلال، {وليكون من الموقنين} أي الراسخين في وصف الإيقان في أمر التوحيد كله بالنسبة إلى جميع الجزئيات لما أريناه ببصره وبصيرته، فتأمل فيه حتى وقع فيه بعد علم اليقين على عين اليقين بل حق اليقين، ولما كانت الأمور السماوية مشاهدة لجميع الخلق دانيهم وقاصيهم، وهي أشرف من الأرضية، فإذا بطلت صلاحيتها للإلهية بطلت الأرضية من باب الأولى نصب لهم الحجاج في أمرها، فقال مسبباً عن الإراءة المذكورة:{فلما جن}أظلم،{عليه الّيل} أي وقع الستر عليه، فحجب ملكوت الأرض فشرع ينظر في ملكوت السماء {رأى كوكباً} بزغ، فكأنه قيل: فماذا فعل؟ فقيل:{قال هذا ربي} فكأنه مِنْ بَصْرِهِ أن أتى بهذا الكلام الصالح لأن يكون خبراً واستفهاماً، ليوهمهم أنه مخبر، فيكون ذلك انفى للغرض وأنجى من الشعب، فيكون أشد استجلاباً لهم إلى إنعام النظر وتنبيهاً على موضع الغلط وقبول الحجة[74]، وقوله (فلما أفل) يعني غاب واختفى، {قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ} لأنه لو كان رباً ما غاب ولا اختفى، فهذا مما يُبطل ربوبية هذا الكوكب، ولأنه لو كان ربًّا ما عرض له هذا العارض، وهذا الزوال بعد الوجود، {فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبّي} يتدرج شيئاً فشيئاً، {فَلَمَّا أَفَلَ} يعني: غاب وانتقل، صار هذا القمر يُتصرّف فيه، ويُدبّر، مثل النجم الذي قبله، يُسَيَّرْ من المطلع إلى المغرب، فهو ليس برب إذاً، {قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالّينَ (77) فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بَازِغَةً} تدرج إلى أكبر

الكواكب هي الشمس، وإذا بطلت عبادة الشمس بطلت عبادة بقية الكواكب من باب أولى، {إِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} الآن صرّح بالتّوحيد، وبين بطلان عبادة هذه الكواكب التي يعبدونها، تقرّر عقلاً وشرعاً وفطرة أنها ليست بآلهة، وأعلن البراءة، وهي الهجر والترك والابتعاد عنه[75]، ويمكننا القول أن هذه القصة تقدم درسًا مهمًّا للدعاة في أن يسلكوا الأفكار الملموسة التي تساعد المتلقي بقبول الدعوة، كما أن على الإنسان الحذر من حبائل الشيطان الذي يقلب له الأمور فما كان للنظر والاستدلال على وجود الله جعله شريكًا له(وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى)[76]،أي رب معبودهم فعبدوا الرب دون المربوب والشعرى كوكب نير خلف الجوزاء يقال لها العبور بالمهملة كالصبور وهى أشد ضياء من الغميصاء، وهى إحدى الشعريين، يعنى أن الشعرى شعريان، أحداهما الشعرى اليمانية، وتسمى أيضًا الشعر العبور، وثانيتهما الشعرى الشامية، وتسمى أيضًا الشعرى الغميصاء، وكانت خزاعة تعبد الشعرى سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم [77]، ويمكننا القول أن العلم يمكن أن يكون وسيلة فعالة للتأثير على العقول ليصل بها إلى نور التوحيد؛ لذلك كان ختام الآيات البينات بالدعوة إلى التدبر والتعقل والتفكر، وبالرغم من أن العلم البشري محدود كما في قصة اليهود مع النبي محمد صلى الله عليه وآله عندما أرادوا إحراجه بسؤالهم عن الروح(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[78]، وقد تكون محدودية العلم البشري إحدى الدلالات على وجود الإله الذي ليس كمثله شيء، فعجز الكل دليل على قدرة الخالق.

المبحث الثانيالنبوة والإمامة في القصص القرآني

المطلب الأول\ إرسال الأنبياء والرسل

مَنَ الله سبحانه وتعالى على الناس بأن أرسل لهم منذرين يهدونهم إلى الصراط المستقيم، بعدما لوث إبليس اللعين الفطرة السليمة، التي أودعها الله في بني آدم إنَّ المتتبع للقصة القرآنية يجد فيها المنهل العذب الذي يستقيه الإنسان ليدعم كل ما يعتقده من عقائد وأفكار؛ لتكون سليمة تتوافق مع ما أراده سبحانه منا، وعند ذلك يمكننا أن نسجل ما لمسناه في عدة نقاط:

أولاً: تحتم الضروة إرسال رسل وأنبياء لجميع الأمم(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)[79]،والأمة: الجماعة الكثيرة، ويقال لأهل كل عصر أمة، والمراد هنا أهل العصر، وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلم تخل تلك الأمم من نذير، وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام {إِلاَّ خَلاَ} مضى {فِيهَا نَذِيرٌ} يخوفهم وخامة الطغيان وسوء عاقبة الكفران[80]، وقد اعترض فرعون عند دعوته للتوحيد متحججًا بالأمم السابقة فكان الرد(قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى)[81]، وأما السبب الذي يحتم إرسال الرسل فقد بينت الآية المباركة أهم أسبابه(رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)[82]، والسبب الآخر هو(مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)[83].

ثانياً: وجوب الإيمان بكل الأنبياء والمرسلين وكتبهم المقدسة، وقد ذكر القران جملة منهم خلال عرضه للقصص القرآني، وذكرهم مجموعة منهم في آية واحدة(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى

الْعَالَمِينَ)[84](وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[85]، وأن عددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، وهؤلاء الأنبياء لم يرد اسم أكثرهم في القرآن(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ)[86]، وأن سادة الأنبياء خمسة الذين عليهم دارت الرحى وهم أصحاب الشرائع، وهم أولو العزم: نوح، إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين،وأن محمدًا سيدهم وأفضلهم[87]، كما عرفنا أن الجن يتبعون الأنبياء فيرسل سبحانه مستمع منهم فينذرون قومهم(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[88].

وأما الكتب المقدسة فقد ورد ذكرها في القصة القرآنية وعبر عنها تارة(بالكتاب أو الصحف) وتارة أخرى باسمها الصريح(وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[89](وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ)[90] (وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)[91]آ(صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)[92]، ويمكننا القول أن القران الكريم يحتم علينا أن نؤمن إيمانًا قاطعًا بقدسية كلّ كتب الأنبياء(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)[93]، ويجب علينا الاعتقاد بان هذه الكتب كتب هداية وصلاح(نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ)[94]، وقد قص علينا القرانكيف اتخذ أكثرهم من هذه الكتب المقدسة وسيلة للمصالح والنفع المادي والسيطرة على الناس بما يحرفون فيها ليلائم أهوائهم(يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[95]

ثالثاً: الاعتقاد بأنَّ الملائكة تنزل إلى الأرض بإذن الله لأمور مختلفة، أهمها حمل الرسالة إلى الأنبياء(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)[96]، وإنَّ الملك الموكل بذلك جبرائيل(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)[97]، ومنها إنزال العذاب على المعاندين أو إيصال أمر خاص(وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ)[98]، (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)[99]، وقد تنزل الملائكة لتقاتل في صفوف المؤمنين(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ)[100]، وقد تتشكل الملائكة بهيئة الإنسان كما

في الآية(96 من سورة هود) أو عندما جاء جبريل للسيدة مريم(فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)[101]

ويمكننا القول أنَّنا انتفعنا من القصة القرآنية في بيان إقرار أغلب الناس بالملائكة، فاليهود على سبيل المثال وهم أصحاب كتاب سماوي لم ينكروا هذه الحقيقية بل عدوا جبريل عدوا لهم(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ)[102]، وأما اعتقاد المشرك بالملائكة فقد ورد في قوله تعالى(لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (7) مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ)[103]، نزلت في عبد الله بن أبي أمية، والنضر بن الحارث، ونوفل بن خويلد، والوليد بن المغيرة، من مشركي مكة والذِّكر: القرآنوإنما قالوا هذا استهزاءً[104]،ويمكننا القول أن الآيات السابقة تثبتت بأنَّ المشرك مقر بوجود الملائكة، وأنإيمانه بها متحصل مما سمعه من قصص الأقوام السابقة.

رابعاً: إذا تأملنا في القصص القرآني نجد أن الغلبة كانت للأنبياء بعدما استنفذوا كل وسائل الهداية والرشاد والتي قابلها المشركون بشتى وسائل الصد بالاستهزاء كما في قصة موسى وفرعون(أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ)[105]، والتهديد والوعيد(قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)[106]، والطرد من الديار(قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ)[107]، وصد وتظليل الناس ونشر الشائعات(وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)[108]، الصراط الطريق {تُوعِدُونَ} تخوّفون الناس بأخذ ثيابهم أو المكس منهم {وَتَصُدُّونَ} تصرفون {عَن سَبِيلِ الله} دينه {مَنْ ءَامَنَ بِهِ} بتوعدكم إياه بالقتل {وَتَبْغُونَهَا} تطلبون الطريقعِوَجَاً[109]، وأما فرعون فنشر الشائعات عن موسى وقومه(فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ)[110]، ثم اتهموهم بالسحر والكهانة(قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ)[111]، وقال منهم(فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (29) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ)[112]، إلى أن(حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)[113]، وتعرض لنا القصة القرآنية العديد من مشاهد نصر الله لأنبياء بالريح والمطر والحجارة وقد جمعت بعض الآيات المباركة أنواع العذاب النازل(فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[114]، فكانالنصر حليفًا للأنبياء(وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ)[115]، لكننا نجد أن النصرأُجِّلَ إلى يوم القيامة بالنسبة لأنبياء آخرين، فقد قتلوا على أيدي الظلمة، كزكريا ويحيى (عليهم السلام) والعديد من أنبياء بني إسرائيل(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[116]، وهموا بقتل إبراهيم وعيسى عليهم السلام(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ)[117]،(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا)[118]،قد شبه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، فأخبر الله أنه رفعه إليه، وأنه باق حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة[119].

خامساً: كشفت لنا القصة القرآنية مدى عناد الأمم السابقة وتمسكهم بأفكارهم المنحرفة، فقد أيَّدَ سبحانه أنبيائهم بالمعجزات الخارقة إلَّا أنهم لم يؤمنوا، وأن بعض تلك المعجزات كانت بطلب منهم ليؤمنوا إلَّا أنَّهم ازدادوا كفرًا ونفورًا (إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ)[120]، أي إنَّا باعثوا الناقة التي سألتها ثمودُ صالحًا من الهضبة التي سألوه بَعثَتها منها آية لهم، وحجَّة لصالح على حقيقة نبوّته وصدق قوله، وقوله(فِتْنَةً لَهُمْ) يقول: ابتلاء لهم واختبارًا، هل يؤمنون بالله ويتبعون صالحًا ويصدّقونه بما دعاهم إليه من توحيد الله إذا أرسل الناقة، أم يكذّبونه ويكفرون بالله؟[121] وبعضهم جاء بأكثر من معجزة كموسى عليه السلام، وأن المعجزات كانت تعجز أهل الفن الرائج في تلك الحقبة كالسحر في فترة موسى والطب في وقت عيسى(وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[122]، كما إنَّ القصة القرآنية أثبتت وجود السحر(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[123]، وبرئت أن تكون المعجزات ضربًا من السحر(وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)[124]، وأما سيد الأنبياء محمَّد صلى الله عليه وآله فقد جاء بأعظم المعجزات، فقصة الإسراء والمعراج ترينا مدى عظمة هذا النبي الذي وصل إلى سدرة المنتهى(وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى)[125]، كما أخبرنا القرآن عن معجزاته التي أثرت على الجرم السماوي فشقته(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)[126].

سادساً: حذرتنا القصة القرآنية من الغلو في الأنبياء، وأن ننسب لهم ما ليس لهم به حق وأن نأتي بالبدع، وقدفضح القصص القرآني اليهود والنصارى، حيث عدَّ اليهود عزير ابن الله كما اتَّخذ النصارى من عيسى ابنا له، وهذا يدلل على سخافة عقائدهم (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)[127]، كما أنَّ النصارى سقطوا في مستنقع الشرك، فاعتقدوا أنَّ المسيح ثالث ثلاثة (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا)[128]، وقد أمر سبحانه بعدم التقول عليه أو الابتداع في الدين(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)[129]، فلم يكتفوا بالقول بألوهية عيسى بل جاؤوا بالبدع التي

كانت وبالًا عليهم لقوله تعالى(فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) فلم يراعوا أيضاً حتّى حقّ الرهبانية التي ابتدعوها باسم الزهد، حيث وضعوا مكائد في طريق خلق الله، وجعلوا من الأديرة والكنائس مراكز لأنواع الفساد، وأوجدوا انحرافاً خطيراً في رسالة السيّد المسيح (عليه السلام)[130]، وتستمر القصة القرآنية بفضح أعمال اليهود حيث انحرف (رهبانهم واحبارهم) فحرفوا التوراة والإنجيل، وأكلوا أموال الناس(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[131].

وحذر سبحانه العلماء والمتصدين لقيادة الأمة من اتّباع الهوى فقد استغل الرهبان والأحبار مواقعهم للانغماس بالباطل، فقد أضلّ إبليس السامري الذي صنع عجلًا للشرك بالله (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ)[132]، ولقوة ملاحظة ونباهته فقد لاحظ ما غفل عنه الآخرون(قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي)[133]، وكان السامري على مقدمة موسى يوم أغرق الله فرعون وأصحابه فنظر إلى جبرئيل وكان على حيوان في صورة رمكة، فكانت كلما وضعت حافرها على موضع من الأرض تحرك ذلك الموضع، فنظر إليه السامري وكان من خيار أصحاب موسى، فأخذ التراب من تحت حافر رمكة جبرئيل، وكان يتحرك فصره في صرة، وكان عنده يفتخر به على بني إسرائيل[134]، وقيلالسامري كان رجلًا أنانياً منحرفاً وذكيّاً في الوقت نفسه، إذ استطاع أن يستغلّ نقاط ضعف بني إسرائيل وأن يوجد(بجرأة ومهارة خاصّة) تلك الفتنة العظيمة التي سبّبت ميل الأغلبية الساحقة إلى عبادة الأصنام[135]، وقد يكون للشيطان نصيب في بعض العارفين لله فيغويهم ويسلخ إيمانهم كما انسلخ هو(إبليس) من الإيمان، وطُرد عندما اختبره سبحانه بآدم عليه السلام، فقد أضلّ إبليس قارون(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)[136]، وكان يسمى المنور لحسن صورته و لم يكن في بني إسرائيل أقرأ منه للتوراة[137]، وكان من أرحام موسى وأقاربه «ابن عمه أو ابن خالته» وكان عارفاً بالتوراة، وكان في بداية أمره مع المؤمنين، إلاّ أنّ غرور الثروة جرّه إلى الكفر ودعاه إلى أن يقف بوجه موسى(عليه السلام) وأماته ميتة ذات عبرة للجميع، وقيلأنه دس لموسى امرأة وزعم أنه زنى بها [138]، كما أغوى إبليس(بلعم)(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) [139]، هو بلعم[140]، وكان من بني إسرائيل أوتي علم بعض كتب الله، واتبع هواه: في إيثار الدنيا واسترضاء قومه،[141]، ويمكننا أن نلحظالظروف الصعبة التي كان يعيشها الأنبياء من جهال القوم، ومن أعيانهم وسلاطينهم، الذين كانوا يصرون على اتباع العقائد الضالة، إلَّا أنَّ الله سبحانه كان يهيئ لهم من الاتباع والمناصرين ما يكون لهم عونًا، ففي قصة موسى وجدنا آسيا بنت مزاحم (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[142]، كما أرسل سبحانه لموسى، رجلًا كان يخفي إيمانه من آل فرعون ونصح موسى بالخروج من مصر، وخاطب فرعون وملئه ناصحًا(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)[143]، والآية الشريفة تبين مشروعية التقية حيث جاءت بثمارها، فمن جهة نجا موسى، ومن جهة ثانية قدم هذا الرجل النصح والإرشاد لهم كي يكون عليهم حجة، وفي قصة أهل القرية بعث سبحانه من يدافع عن أنبياء الله(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[144]، وأما سليمان فقد مَنَ الله عليه بشخصية عظيمة أعطاه الله العلم(قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)[145]، وهو آصِفَ بْنَ بَرْخِيَا، فَإِنَّ احضر عرش بِلْقِيسَ فِي لَحْظَةٍ، وكان الحواريون نعم المعين لعيسى عليه السلام في نشر الدعوة، وبيان العقيدة الحقة(فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[146]، وقد يصلح سبحانه الأمة بأسرها لتعين النبي على طاعة الله، كما فعل سبحانه بقوم يونس الذين تابوا عندما شاهدوا أمارات العذاب قادمة، فندموا واستغفروا الله[147]، (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)[148].

سابعاً: للوعد الإلهي في القصص القرآني أثرًا كبيرًا جدًّا في فكر المؤمنين، فقد وعد سبحانه(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)[149]، فقد تحقَّق وعد الله وأغرق سبحانه فرعون وجنده،ومعنى ذلك أن هذه سيرة الله، لا تختص بموسى وفرعون[150]، بل بقيت الآية المباركة تخاطب وتزرع في قلوب الجموع المؤمنة فكرة انتظار الوعد والنصر الالهي، كما تشير الآية إلى فكرة انتظار إمام عادل يقوم بتطبيق حكم الله في الأرض(الإمام المهدي عليه السلام) كما أشارت أغلب كتب المصادر[151]، لأنَّ الله كتب في الكتب المقدسة أن الأرض يرثها العباد الصالحون.

ثامناً: بينت القصة القرآنية تأثير الفكر في المعتقدات، فكلما كان الفكر مستنداً على يقين عالٍ وصل بصاحبه إلى كمال الإيمان؛ لذلك عتب عيسى عليه السلام على الحواريين عندما قالوا(إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[152]، إلَّا أنَّ الحواريين أكَّدوا لعيسى انهم(قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ)[153]، لا شكَّ أنَّ الحواريين لم يكونوا مدفوعين بقصد سيء في طلبهم هذا، ولا هم كانوا يريدون المشاكسة والمعاندة، بل كانوا يرغبون في بلوغ مرحلة الاطمئنان الأقوى، وإبعاد ما بقي من رواسب الشك، والوسوسة من أعماقهم، فكثيراً ما يحدث أنّ إنساناً يتأكد من أمر بالمنطق وحتى بالتجربة، ولكن إذا كان الأمر مهماً جدّاً فإنّ بقايا من الشكِّ والتردُّد تظل في ثنايا قلبه، لذلك فهو شديد الرغبة في أن تتكرر تجاربه واختباراته، أو أن تتبدل استدلالاته المنطقية والعلمية إلى مشاهدات عينية تقتلع من أعماق قلبه جذور تلك الشكوك والوساوس، ولهذا نرى إبراهيم(عليه السلام)، على ما كان عليه من مقام ويقين يسأل الله أن يرى المعاد رأيالعين لكي يتبدل إيمانه العلمي إلى «عين اليقين» وإلى «شهود» ولكن أُسلوب طلب الحواريين تميز بشيء من الفضاضة لذلك ظن عيسى(عليه السلام)أنّهم بصدد البحث عن الأعذار والحجج، فاعترضهم وبعد أن شرحوا له حقيقة موقفهم وافق على طلبهم[154].

تاسعاً: وجود بعض المقدمات يكون ضروريًّا للتأثير في الفكر والاعتقاد، فحتى الملائكة تساءلت عن معنى استخلاف آدم عليه السلام، لذا علمه سبحانه الأسماء، ثم سأل الملائكة عنها(وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[155]، وعند عجز الملائكة، ومعرفة آدم طلب سبحانه السجود لهذا الخليفة، وأما موسى وعيسى عليهم السلام فقد أخبروا قومهم بنبي آخر الزمان، وضرورة الإيمان به، لكنهم لم يؤمنوا بالرغم من(الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[156]

وأما عيسى فقال لقومه(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)[157]، فآمن بعض أصحاب الفكر الحر من اليهود والنصارى بالنبي محمد عندما ظهر.

المطلب الثاني\ الإمامة

شغل منصب الإمامة حيّزًا كبيرًا من الاهتمام في العقيدة الإسلاميَّة، وقد ذكرته القصة القرآنية بقوله تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)[158]، والإمام في اللغة: (أُتَمَّ بِهِ) اقْتَدَى، وَ(الْإِمَامُ) الصُّقْعُ مِنَ الْأَرْضِ وَالطَّرِيقُ و(الْإِمَامُ) الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ وَجَمْعُهُ أَئِمَّةٌ[159]، وفي الاصطلاح: الإمام هو الوالي على الخلق في جميع أمر الدين و الدنيا[160]، أثارت سورة البقرة مسألة حساسة ألا وهي حصول النبي إبراهيم على الإمامة، ويمكننا أن نلحظ عدة أمور حول هذه الآية:

أوَّلًا: متى نال إبراهيم هذه المرتبة وما معنى كلمة الإمام فيها، المستفاد من لفظ الإمام أمران (أحدهما) أنه المقتدى به في أفعاله و أقواله، و(الثاني)أنه الذي يقوم بتدبير الأمة وسياستهاوالقيام بأمورهاتأديب جناتها وتولية ولاتها وإقامة الحدود على مستحقيها ومحاربة من يكيدها ويعاديها، فعلى الوجه الأول لا يكون نبي من الأنبياء إلا وهو إمام، وعلى الوجه الثاني لا يجب في كل نبي أن يكون إمامًا؛ إذ يجوز أن لا يكون مأمورًا بتأديب الجناة ومحاربة العداة والدفاع عن حوزة الدين ومجاهدة الكافرين، فلمَّا ابتلى الله سبحانه إبراهيم بالكلمات فأتمهن جعله إمامًا للأنام جزاء له على ذلك[161]، كما إنَّ ذلك يدل على أن هذه الإمامة الموهوبة إنما كانت بعد ابتلائه بما ابتلاه الله به من الامتحانات و ليست هذه إلا أنواع البلاء التي ابتلي (عليه السلام) بها في حياته، و قد نص القرآن على أن من أوضحها بلاء قضية ذبح إسماعيل قال تعالى(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)[162] إن قصةالإمامة، إنما كانت في أواخر عهد إبراهيم (عليه السلام) بعد مجيء البشارة له بإسحاق وإسماعيل، وإنما جاءت الملائكة بالبشارة في مسيرهم إلى قوم لوط و إهلاكهم، وقد كان إبراهيم حينئذ نبيًّا مرسلًا، فقد كان نبياً قبل أن يكون إماماً فإمامته غير نبوته[163]، وعن أبي عبدالله عليه السلام يقول: "(إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وإنَّ الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وإن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وإنَّ الله اتخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلمَّا جمع له الأشياء قال إنِّي (جاعلك للناس إمامًا)[164]، وأما كلمة أئمة في

قوله تعالى(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)[165]، يعني أنبياء يقتدى بهم، يهدون بأمرنا يدعون الناس إلى الدين ويرشدونهم إلى الشرائع[166].

ثانيا: يمكننا أن نبرهن من الجزء الثاني من الآية (قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) على عصمة الأنبياء، وقوله تعالى{وَمِنْ ذُرِّيَّتِي} أي ومن أولادي أيضًا فاجعل منهم أئمة يقتدى بهم في الخير {قَالَ} اللَّهِ تَعَالَى {لا يَنَال} لا يصيب {عَهْدِي الظَّالِمِينَ} أي من كان منهم ظالمًا لا يصيبهُ، قال عطاء بن أبي رباح: عهدي رحمتيُ، وقال السدي: نبوتيُ وقيل: الإمامةُ، قال مجاهد: ليس لظالم أن يطاع في ظلمه، ومعنى الآية لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة من كان ظالمًا من ولدكُ[167]، فالإمام والنبي يجب أن يكون معصوماً عن الضلال و المعصية، و إلَّا كان غير مهتد بنفسه، كما يدل عليه أيضا قوله تعالى: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)[168]،أن هداية الناس والصبر على مشقة مخالطتهم من لوازم الإمامة، وكذا الجهاد في سبيل الله، والعقل يحكم بذلك[169]، ويمكننا البحث في القصص القرآني لنجد الأدلة التي تؤيد عصمة الأنبياء(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)[170](وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ)[171](وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)[172]،(وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)[173]، وصفت الآيات المباركة الأنبياء بصفات خاصة (المخلصين– أولي الأبصار – المصطفين الأخيار– نعم العبد– أوَّاب– صابرًا) وغيرها من الصفات الكمالية التي لا يتوقع من يصفه الله سبحانه بها أن يزل ويخطأ، وهل يعجز الله سبحانه في أن يختار من لا يقع في الخطأ؟ ثم إنَّ الأمر الإلهي يأمر الجميع الاقتداء بهم فكيف يقتدى بمن يضل(أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ)[174]ففي الآيات أدلة بيّنة على مدى الكمال الإنساني الذى أفاضه الله على أنبيائه ورسله' ولو لم يكونوا كذلك لسقطت هيبتهم في القلوب، ولصغر شأنهم في أعين الناس، وبذلك تضيع الثقة فيهم، فلا ينقاد لهم أحد، وتذهب الحكمة من إرسالهم ليكونوا قادة الخلق إلى الحق، بل لو فعلوا شيئًا مما يتنافى مع الكمال الإنساني بأن يتركوا واجبًا، أو يفعلوا محرّمًا، أو يرتكبوا ما يتنافى مع الخلق الكريم، لكانوا قدوة سيئة، ولم يكونوا مُثلاً عُليا، ومنارات هدى[175]، وإذا أيقنَّا أنَّ الأنبياء معصومون وجب علينا أن نتأمَّل جيدًا في القصص القرآني الذي قد يتوهم بعضهم من أن الأنبياء وقعوا في المعصية، فقد يتوهَّم البعض مثلًا عندما يقرأ(فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)[176]، وكذلك الآيات الواردة فيسورة الأنبياء، الآية: ٨٧،و سورة طه، الآية: ٤٠، وسورة يوسف، الآية: 24، فكل هذه الآيات المباركة وغيرها مما جاء في القصة القرآنية لا تشير إلى أي معصية ارتكبها الأنبياء، وقد انبرى العلماء لبيان وتوضيح ما جاء فيها، وقد أُلِّفت الكتب في الدفاع عن عصمة الأنبياء منها(عصمة الأنبياء لفخر الدين الرازي، تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى، عصمة الأنبياء في القران الكريم لجعفر السبحاني، عصمة الأنبياء للسيد كمال الحيدري.....)، وغيرها من الكتب، ومن الأمثلة للدفاع عن المعصومين

وأنهم لم يرتكبوا الزلل، ففي قوله تعالى((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)، همّت أن تنال مأربها من يوسف، ولولا أنّ يوسف رأى برهان ربّه لهمّ بقتلها وهو السوء، أو همّ بالفحشاء كما هو مقتضى طبيعة الحال التي كان عليها الفتى مكتمل الرجولة غير المتزوّج مع مالكته الفتاة مكتملة الأُنوثة المترفة في بيت خلا من كلّ أحد، ولكنّه رأى برهان ربّه واستعصم، فقد كان ممّن أخلصه الله لنفسه[177].

الخاتمة وأهم النتائج

الإنسان العاقل هو من يبني أفكاره وعقائده على أسس علمية صحيحة، فينشد الأدلَّة العقلية والعلمية والمنطقية من جهة، ومن جهة أخرى يتحرَّى الأخبار والروايات الصحيحة، ثم ينظر ويتأمل ويتفكر ليكون الناتج إيمانًا عقائديًّا راسخًا لا تهزه الرياح، يفني حياته من أجل ما آمن به؛ لأنَّ إيمانه كان عن علم وقناعة تامَّة، ولا يستمد الإنسان عقائده وأفكاره بما كان يعبد الآباء والأجداد؛ لأن التقليد في العقيدة غير صحيح، وقد جرف هذا التقليد الأعمى الأمم السابقة إلى الجحيم، فكان الأحرى بتلك الأمم أن تناقش الأنبياء نقاشًا عقليًّا، خصوصًا بعدما أيَّد الله أنبيائه بالمعجزات، وبين لهم الأنبياء الفرق بين الإله المقتدر الخالق، وبين الإله المصنوع الذي ينحتونه بأيديهم، لكنَّهم كذبوا المعجزات والكتب المقدسة، فكانت عاقبتهم نزول العذاب.

ما أحوجنا أن نثبت أفكارنا وعقائدنا بالعبرة والبراهين التي جاءت بها القصة القرآنية ونقدمها إلى أبنائنا ليتحصنوا بها، وما أحوجناللرجوع إلى الله كقوم يونس بتوبة حقيقية لنتدارك الأخطاء.

إنَّ الرحلة في الأزمان الغابرة لقصص الأمم السابقة مليئة بالحكم والمواعظ، وما الجانب الفكري والعقائدي إلَّا أحد الموارد العذبة التي يستقيها من ينشد الحكمة، لم نقف على آيات القصص القرآنية كلها بل اقتصرنا على مورد الشاهد فيها واعتمدنا بعض مواضيعها لنخرج بحصيلة وجملة من الأمور:

1- للقصص القرآني أثرٌ عظيمٌ في إثبات صدق نبوة النبي محمَّد(صلى الله عليه وآله) فقد أخبرتنا القصة القرآنية عن الأمم السابقة وعقائدها المنحرفة، وأفكارها الشاذَّة، والتي لم يكن كثيرٌ منها له معرفة في المنطقة، وما عُرف منها فقد لوثت وحُرفت على أيدي علماء اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل، وعلى هذا فالمسلم يقر بكلِّ الأنبياء وكتبهم غير المحرفة، وهذا يحتم على أصحاب الديانات الإيمان بالدين الإسلامي خاتم الديانات وبنبيه محمَّد (صلى الله عليه وآله) خاتمًا للرسل كما بشر به الأنبياء السابقون.

2- وجدنا في القصة القرآنية أثرًا كبيرًا للأفكار والعقائد التيتبنى على أسس علمية ومنطقيَّة وعقليَّة، لذا حاور الأنبياء أممهم بالأدلة القاطعة، وأكثروا من النصح والإرشاد، فعندما يكتشف الإنسان الحقيقة بفكره الحر، وفطرته التي أودعها الله فيه؛ سينقلب جنديًّا مدافعًا عن أفكاره ومعتقداته، وهذا ما وجدناه في السحرة عندما حرَّروا أفكارهم من الأنانيَّة، وحب الدنيا حيث كانوا يطالبون فرعون بالأجر إن غلبوا موسى، فانقلبوا بعد أن تكشفت لهم الحقائق إلى أناس عارفين لله تعالى زاهدين بالدنيا مضحين بأنفسهم من أجل العقيدة

3- للقصص القرآني أثرٌ عظيمٌ في اتباع الفكر والعقيدة الحقة، فما حل بالأمم السابقة من العذاب الأليم والمدمر يجعل الناس تتأمَّل دعوة الأنبياء للتوحيد، ولا سيما أن القصة قد ضربت لهم المثل في الآثار المدمرة للأممالتي

يمرون عليها في أسفارهمكقوم لوط، ولطالما ذَكَّرَ الأنبياء (عليهم السلام) أممهم بما جرى على المشركين قبلهم كقوم نوح وهود وصالح.

4- الأثر الكبير للقصة القرآنية في يقين الإنسان، فعندما تُذكر نهاية المشركين بجزئيها، الأوَّل نزول العذاب عليهم، والثاني النهاية الأخير لقصتهم بعد آلاف السنين(والله أعلم) يوم القيامة، حيث يدخل كل فريق لما أعده الله له، وعندها تذكر لنا القصة القرآنية حال المؤمن عندما يتذكَّر صاحبه المشرك في الدنيا الذي حاول إضلاله، وكيف أنَّه يقرعه بعدما مكَّنه الله من ذلك، فذكر الجنة ونعيمها، والنار وخزيها، يشكِّل دافعًا للحصول على الجنَّة، ورادعًا عن الشرك والمعاصي، وهذا يتطلَّب فكرًا حرًّا، وتمسُّكًا بعقائد حقَّة وعمل صالح.

5- يظهر أثر القصص القرآني جليّاً في الفكر، فالتأمُّل في القصص يغذي وينمي العقل وينشئ عقلاً نورانياً، ففي قصصهم عبرة لأصحاب القلوب الواعية، فالقصة تنمي مدارك الإنسان وإحساسه، فينتقل الاعتقاد إلى القلب ليرسخ كالجبال.

6- إنَّ أثر تعطيل الإنسان لعقله، وضيق تفكيره ينعكس على إنسانيته، فإذا لم يتعقل ويدرك الحقائق فإنَّه يهوى إلى مرتبة الأنعام، بل أدنى من ذلك، كما وصف القرآن الأقوام السابقة التي عطَّلت مداركها وعصت الله، فالله تعالى لا يجبر أحدًا على الضلالة، فلا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، فالتكذيب، واتباع السادة والشيطانهو سبب الضلالة، حيث ذكر القرآن حال الكفار عندما يطلبون من الله أن يضاعف العذاب على من أضلَّهم في الدنيا.

7- لم تؤثر القصة القرآنية على الفكر والعقيدة الإسلامية سلبًا، بل أظهرت لنا مدى متانة الفكر الإسلامي في حل الشبهات التي أشكلها المغرضون، وضيقوا التفكير فيما نسبوا لله تعالى من صفات تنزَّه عنها الخالق، وفيما نسبوا للأنبياء من زلل وخطأ، كما بينت لنا هذه الإشكالات أهمِّيَّة الاعتماد على أهل العلم، والمفكرين الذين نذروا أنفسهم، وفكرهم للدفاع عن العقيدة.

8- عندما تعرض لنا القصة القرآنية ما عند الهدهد من فكر وعقيدة راقية، فإن ذلك ينعكس على تصرف من كلف في اتباع ما جاء به الرسل من فكر وعقيدة، فالأحرى بالإنسان خليفة الله في الأرض أن يقر بوجود خالقة ويتمسك بالعقيدة الحقة، وهذا ما حصل مع سليمان فقد زاد من شكر لله وتوجه له سبحانه بالدعاء عندما سمع النملة تخاطب أقرانها.

9- القصة القرآنية يمكن استخدامها في بناء الفكر والعقيدة لكل الأجيال، ويمكننا أن نقصها لأبنائنا ليتحصنوا فكريًّا وعقائديًّا، وقد علمتنا القصة كيف نستخدم الطرائق السليمة في الطرح كما فعل النبي إبراهيم، وعليه يمكننا أن نقدم القصة على شكل أفلام كارتونية للأطفال، وأفلامًا ومسلسلات للكبار ليرسخ الاعتقاد.

الهوامش:

(1) سورة الشعراء، الآية: 97 -98

(2) سورة المؤمنون، الآية:44

(3) سورة مريم، الآية: 44

(4) سورة لقمان، الآية: 13

(5)– سورة يونس، الآية: 68

(6) سورة الأنعام، الآية: 100

(7) سورة الصافات:، الآية 12

(8) سورة نوح، الآية: 23

(9) سورة الشعراء:، الآية 71 –77

(10) ينظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي: مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة،الطبعة: الأولى 1405هـ - 1985م: (ص: 284)

(11) سورة النجم، الآية: 19 – 21

(12) سورة سبأ:، الآية 40 –41

(13) ينظر: تلبيس إبليس: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: د. السيد الجميلي: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، 1405 – 1985: (ص 80)

(14) سورة الزمر، الآية:3

(15) سورة يونس، الآية:34

(16) سورة مريم، الآية:42

(17) سورة مريم، الآية: 48

(18) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد، مطبعة الأماني، مصر، الطبعة الأولى، 1991: (ص15)

(19) سورة البقرة، الآية: 258

(20) سورة يس: 20 – 22

(21) سورة غافر، الآية: 38 – 39

(22) سورة يوسف، الآية: 110

(23) سورة العنكبوت، الآية: 40

(24) سورة العنكبوت، الآية: 65

(25) سورة يونس، الآية: 22 – 23

(26) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: 287)

(27) سورة الأعراف:، الآية 138 –139

(28) لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر

الطبعة: الثالثة: (ج 2 / ص 432)

(29) سورة الأعراف، الآية: 148

(30) الميزان في تفسير القرآن: العلامة محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان: (ج 8 / ص 139)

(31) سورة الكهف، الآية: 37–38

(32) الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري: مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، د ط: (ج 3ص109)

(33) التبيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب موقع الجامعة الإسلامية:(ج 7 / ص 41)

(34) سورة القصص، الآية:38

(35) سورة الشعراء، الآية: 79 –82

(36) سورة النمل، الآية: 40

(37) سورة النمل، الآية: 25 – 26

(38) سورة الحديد، الآية: 4

(39) سورة طه، الآية:5

(40) العرش وما رُوِي فيه: أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1998م: (ص: 29)

(41) سورة البقرة، الآية: 20

(42) سورة الأعراف، الآية:137

(43) سورة المؤمنون، الآية: 28

(44) سورة طه، الآية: 6

(45) تصحيح اعتقادات الشيعة: الشيخ محمد بن نعمان المفيد، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية 1993:(76–77)

(46) سورة هود، الآية: 37

(47) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: العلاّمة الشيخ جعفر السبحاني، الطبعة الأولى، 1998:(86)

(48) سورة طه، الآية: 39

(49) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية – 1402 هـ – 1982 م: (ج1 ص240)

(50) سورة النساء، الآية:164

(51) هيميان الزاد إلى دار المعاد:قطب الأئمة محمد بن يوسف بن عيسى، اطفيش، وزارة التراث القومي والثقافة – سلطنة عمان1401 هـ – 1980م:(ج 4 / ص 188)

(52) سورة الحجر، الآية: 28

(53) أَركانُ الإيمانِ: علي بن نايف الشحود، الطبعة: الرابعة، مزيدة ومنقحة، 1431 هـ – 2010 م.

(54) سورة الأنبياء، الآية: 2 –3

(55) سورة الأنبياء، الآية:5

(56) سورة نوح، الآية:27

(57) سورة الأعراف، الآية: 82

(58) سورة التحريم، الآية: 10

(59) القصص القرآني قراءة معاصرة: د. محمد شحرور، دار الساقي، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، 2012: (ص53)

(60) سورة هود، الآية: 43

(61) سورة التحريم، الآية: 11

(62) سورة البقرة، الآية:164

(63) سورة هود، الآية:7

(64) سورة الأنبياء، الآية: 30

(65) ينظر: الانفجار العظيم: جيمس اليدسى، ترجمة: عزت عامر، مكتبة المهتدين، الطبعة الأولى: 2005: (ص91)، وينظر العقيدة في نشاة الكون والانفجار الكبير: د. أيمن صلاح، طبعة 2024: (ص15)

(66) سورة الذاريات، الآية: 4

(67) مفاهيم إسلامية: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، د ط: (ج 1 / ص 559)

(68) سورة فصلت، الآية: 11

(69) سورة نوح، الآية: 15 –16

(70) سورة الأنعام، الآية: 6

(71) ينظر: مقدمة في علم الفلك:أوليفييه إسلانجيه، ترجمة طارق كامل، المطابع المصرية، الطبعة الأولى، 2017:(ص29–34)

(72) سورة النحل، الآية: 16

(73) سورة الأنعام:، الآية 75 – 78

(74) ينظر: تفسير البيضاوي – (ج 2 / ص 171)

(75) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان،الطبعة: الطبعة الثالثة، 1423هـ 2002م: (ص 55)

(76) سورة النجم، الآية: 49

(77) ينظر: روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، أبو الفداء: دار الفكر – بيروت– لبنان، د ط :(538)

(78) سورة الإسراء، الآية: 85

(79) سورة فاطر، الآية:24

(80) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه: يوسف علي بديو: دار الكلم الطيب، بيروت– لبنان،الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1998 م: (ج 3 / ص 166)

(81) سورة طه، الآية: 52

(82) سورة النساء، الآية: 165

(83) سورة الإسراء، الآية: 15

(84) سورة آل عمران، الآية:33

(85) سورة الأنعام:، الآية 86–88

(86) سورة غافر، الآية:78

(87) الاعتقادات: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين الصدوق، تحقيق مؤسسة الإمام الهادي، الطبعة الثالثة: (ص 95)

(88) سورة الأحقاف، الآية: 29 –32

(89) سورة البقرة، الآية:53

(90) سورة المائدة، الآية: 46

(91) سورة النساء، الآية:163

(92) سورة الأعلى الاية:19

(93) سورة النساء، الآية:136

(94) سورة آل عمران، الآية:3

(95) سورة المائدة، الآية: 41

(96) سورة النساء، الآية: 163

(97) سورة البقرة، الآية: 97

(98) سورة هود، الآية: 69

(99) سورة هود، الآية:81

(100) سورة الأنفال، الآية:9

(101) سورة مريم، الآية: 17

(102) سورة البقرة، الآية: 98

(103) سورة الحجر، الآية: 7 –8

(104) زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد،المحقق: عبد الرزاق المهدي: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – 1422 هـ (ج 4 / ص 50)

(105) سورة الزخرف:، الآية 52

(106) سورة الشعراء، الآية: 116

(107) سورة الشعراء، الآية:167

(108) سورة الأعراف، الآية: 86

(109) تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى: (ج 3 / ص 39)

(110) سورة الشعراء، الآية: 53 –55

(111) سورة الشعراء، الآية:34

(112) سورة الطور، الآية:30

(113) سورة يوسف، الآية: 110

(114) سورة العنكبوت، الآية: 40

(115) سورة الأنعام: 34

(116) سورة البقرة، الآية:91

(117) سورة الأنبياء، الآية: 69

(118) سورة النساء، الآية: 157

(119) أشراط الساعة:عبد الله بن سليمان الغفيلي: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، الطبعة: الأولى، 1422هـ: (ص: 112)

(120) سورة القمر، الآية: 27

(121) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركيا: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1422 هـ – 2001 م: (ج 22 / ص 591)

(122) سورة آل عمران، الآية: 49

(123) سورة البقرة، الآية: 102

(124) سورة طه، الآية: 69

(125) سورة النجم، الآية: 13 –14

(126) سورة القمر، الآية:1

(127) سورة التوبة، الآية:30

(128) سورة النساء:، الآية 177

(129) سورة الحديد، الآية:27

(130) الأمثل في كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي:(ج 18 / ص 81)

(131) سورة التوبة، الآية: 34

(132) سورة طه، الآية:88

(133) سورة طه، الآية: 95 – 96

(134) تفسير القمي – (ج 29 / ص 6)

(135) تفسير الأمثل – مكارم الشيرازي – (ج 10 / ص 71)

(136) سورة القصص، الآية:76

(137) تفسير مجمع البيان – الطبرسي – (ج 7 / ص 415)

(138) ينظر: تفسير الميزان – العلامة الطباطبائي – (ج 19 / ص 139) وتفسير الأمثل – مكارم الشيرازي – (ج 12 / ص 288)

(139) سورة الأعراف، الآية: 175

(140) هو: بلعم بن بعورا بن ستوم بن فواسيم بن ماب بن لوط بن هارن بن تارخ بن ناحور، وكان من ولد مدين بن إبراهيم، ينظر: المحبر: أبو جعفر البغدادي(ص: 389)

(141) الصافي في تفسير كلام الله الوافي: حمّد بن المرتضى الكاشاني، الأعلمي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى:(ج 2 ص 300)

(142) سورة التحريم، الآية:11

(143)سورة غافر، الآية: 28

(144) سورة يس، الآية: 20– 21

(145) سورة النمل، الآية: 40

(146) آل عمران، الآية:52

(147) – ينظر: لوامع الأنوار البهية (2/ 394)

(148) سورة يونس، الآية: 98

(149) سورة القصص، الآية: 5

(150) ينظر: الغيبة: محمد رضا الجعفري، مركز الأبحاث العقائدية، قم – إيران، الطبعة الأولى، 1420هـ: (ص30)

(151) ينظر: تفسير للطوسي(8\120) وينظر: تفسير نور الثقلين(4\ 116) وغيرها من التفاسير

(152) سورة المائدة، الآية: 112

(153) سورة المائدة، الآية: 113

(154)تفسير الأمثل – مكارم الشيرازي: (ج 4 / ص 188)

(155) سورة البقرة، الآية:31

(156) سورة البقرة، الآية: 146

(157) سورة الصف، الآية:6

(158) سورة البقرة، الآية: 124

(159) مختار الصحاح (ص: 22)

(160) الفصول المختارة للشيخ المفيد، مكتبة الدواري، قم– إيران، الطبعة الرابعة، 1396هـ: (ج 11 / ص 10)

(161) تفسير مجمع البيان: الطبرسي: (ج 1 / ص 343)

(162) سورة الصافات، الآية: 102

(163) تفسير الميزان – العلامة الطباطبائي: (ج 1 / ص 154)

(164) – ميزان الحكمة: الريشهري: (ص 110)

(165) سورة الأنبياء، الآية: 73

(166) تفسير الأعقم:أحمد بن علي الأعقم الآنسي، دار الحكمة، الطبعة: الأولى:1990: (ج 1 / ص 421)

(167) معالم التنزيل في تفسير: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م: (ج 1 / ص 146)

(168) سورة الأنبياء، الآية: 73

(169) مختصر التحفة الإثني عشرية: شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، اختصره وهذبه محمود شكري الألوسي: المطبعة السلفية، القاهرة: 1373 هـ (1/ 120)

(170) سورة يوسف، الآية 24

(171) سورة ص، الآية: 45-47

(172) سورة ص، الآية:30

(173) سورة ص، الآية: 44

(174) سورة الأنعام:، الآية 89 – 90

(175) العقائد الإسلامية سيد سابق محمد التهامي: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، د ط: (ص: 183)

(176) سورة طه، الآية: 121

(177) عصمة الأنبياء والرسل: مرتضى العسكري، شبكة كتب الشيعة، بيروت– لبنان، د ط: (ص 73)

المصادر والمراجع:

القران الكريم

1. أَركانُ الإيمانِ: علي بن نايف الشحود، الطبعة: الرابعة، مزيدة ومنقحة، 1431 هـ - 2010 م.

2. أشراط الساعة:عبد الله بن سليمان الغفيلي: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية،الطبعة: الأولى، 1422هـ.
3. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان،الطبعة: الطبعة الثالثة، 1423هـ 2002م.
4. الاعتقادات: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين الصدوق، تحقيق مؤسسة الإمام الهادي، الطبعة الثالثة.
5. الأمثل في كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان،2007م.
6. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م.
7. التبيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب موقع الجامعة الإسلامية
8. تصحيح اعتقادات الشيعة: الشيخ محمد بن نعمان المفيد، دار المفيد للطباعة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية: 1993
9. تفسير الأعقم:أحمد بن علي الأعقم الآنسي، دار الحكمة، بيروت– لبنان، الطبعة: الاولى:1990.
10. تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى.
11. تفسير الميزان – العلامة محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان– بيروت، د ط
12. تفسير نور الثقلين عبد علي بن جمعه العروسي الحويزي – تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة: الرابعة، 1412 – 1370 ش.
13. تلبيس إبليس: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: د. السيد الجميلي: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، 1405 – 1985.
14. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركيا: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1422 هـ – 2001 م.
15. خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد، مطبعة الأماني، مصر، الطبعة الأولى، 1991.
16. روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، أبو الفداء: دار الفكر – بيروت– لبنان، د ط.
17. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد،المحقق: عبد الرزاق المهدي: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – 1422 هـ.
18. الصافي في تفسير كلام الله الوافي:– حمّد بن المرتضى بن محمود الكاشاني، الأعلمي، بيروت – لبنان، الطبعة الاولى.
19. عصمة الأنبياء والرسل: مرتضى العسكري، شبكة كتب الشيعة، بيروت– لبنان، د ط.
20. العرش وما رُوِي فيه: أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي:

مكتبة الرشد، الرياض– المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1998م.
21. العقائد الإسلامية سيد سابق محمد التهامي: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، د ط.
22. العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: العلاّمة الشيخ جعفر السبحاني، الطبعة الأولى، 1998.
23. عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي: مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة،الطبعة: الأولى 1405هـ – 1985م.
24. العقيدة في نشاة الكون والانفجار الكبير: د. أيمن صلاح، طبعة 2024.
25. الغيبة: محمد رضا الجعفري، مركز الأبحاث العقائدية، قم – إيران، الطبعة الأولى، 1420هـ.
26. الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري: مكتبة الخانجي – القاهرة – مصر، د ط.
27. لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة، 2000م.
28. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية – 1402 هـ – 1982 م.
29. مختصر التحفة الإثني عشرية: شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، اختصره وهذبه محمود شكري الآلوسي: المطبعة السلفية، القاهرة: 1373 هـ.
30. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه: يوسف علي بديو: دار الكلم الطيب، بيروت– لبنان،الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1998 م.
31. معالم التنزيل في تفسير: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ – 1997.
32. مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة– 1420 هـ.
33. مفاهيم إسلامية: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، د ط.
34. القصص القرآني قراءة معاصرة: د. محمد شحرور، دار الساقي، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، 2012
35. مقدمة في علم الفلك: أوليفييه إسلانجيه، ترجمة طارق كامل، المطابع المصرية، الطبعة الأولى، 2017.
36. الانفجار العظيم: جيمس إليدسى، ترجمة: عزت عامر، مكتبة المهتدين، الطبعة الأولى: 2005.
37. هيميان الزاد إلى دار المعاد:قطب الأئمة محمد بن يوسف بن عيسى، اطفيش، وزارة التراث القومي والثقافة – سلطنة عمان1401 هـ – 1980م.